الإشراف على مذاهب أهل العلم

الإشراف على مذاهب أهل العلم

للإمام الحافظ الفقيه المجتهد
محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري
رحمه الله تعالى ٢٤١ - ٣١٨ هـ

تحقيق
محمد نجيب سراج الدين

باشراف
فضيلة العلامة المحقق
الشيخ عبد الغني محمد عبد الخالق
رئيس قسم أصول الفقه في كلية الشريعة والقانون
في جامعة الأزهر

المجزء الأول

إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم علىٰ سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن في الفقه الإسلامي العام كنوزاً ما زالت مهجورة، وما زال الباحثون والمحققون في غفلة عنها.

ونشر الأمة لآثار علمائها من أول الإمارات علىٰ يقظتها الدينية، ونباهتها العقلية، فضلا عن الفوائد العلمية التي تستخرجها منها.

فلما كان نشر الباحث مُؤَلفاً قديماً، مُحَقّقاً إياه من أجلّ الأعمال التي يقوم بها العلماء المحققون في هذا العصر.

ولما كانَ كتاب (الإشراف علىٰ مذاهب أهل العلم) ـ لابـن المنذر الإمام الجليل، شيخ الفقهاء في عصره، وصاحب التصانيف التي لم يصنف مثلها (كما وصفه المترجون) ـ من تلكم الكنوز الفقهية المطمورة، غير المنشورة، ومن أحسن الذخائر، وغرر المفاخر.

أحببت أن أنهض إلىٰ تحقيق هذا الكتاب الذي ما زال جيد الفقه الإسلامي العام المنشور منه عاطلاً، والذي هو من أعظم الكتب التي أُلفت في علم الاختلاف ـ وعرضت لمذاهب العلماء ـ فائدة، وأكثرها علىٰ المشتغلين بالفقه المقارن عائدة، وأبعدها في عالم التأليف شهرة، وأجلها قدراً. وذلك باعتراف الموافقين له والمخالفين من العلماء والفقهاء والمحدثين.

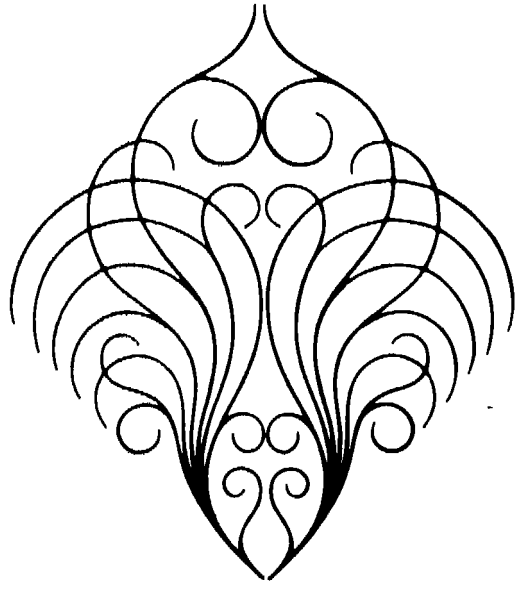

(التعريف بابن المنذر)

هو الإمام المجتهد، الفقيه، الحافظ، نزيل مكة المكرمة، وشيخ الحرم في وقته: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري[1].

ولا نعلم عن نسبه أكثر من هذا، إذ إن كل من ترجم لابن المنذر لم يذكر غير اسمه واسم أبيه وجده: محمد بن إبراهيم بن المنذر.

كنيته: ولا خلاف في أن كنيته (أبو بكر) ولعل هذه الكنية من باب قول الشاعر:

لها كنية عمرو وليس لها عمرو

ونسبته: النيسابوري إلىٰ المدينة (نَيْسابُور) فهو نيسابوري الأصل والنسبة.

ولادة ابن المنذر

لم تفصح المصادر التاريخية عن تاريخ ولادة ابن المنذر، وجميع من ترجموا حياته لم يعينوا سنة ميلاده، إلا ما ذكره الذهبي[2] من أنه ولد في السنة التي توفي فيها الإمام الجليل أحمد بن حنبل (أي سنة ٢٤١ هـ).

---

(١) الفهرست لابن النديم ٣٠٢. طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ٦٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٨، تهذيب الأسماء للنووي ٢٤٠/ق ١/ص١٩٦، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/٣. سير النبلاء: المجلد التاسع الطبعة الثامنة عشر، مخطوط. الوافي بالوفيات للصفدي ١/٣٣٦. مرآة الجنان ٢/٢٦١، وفيات الأعيان ٤/٢٠٧ طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٣/١٠٢، لسان الميزان ٥/٢٧، شذرات الذهب ٢/٢٨٠.

(٢) في سير النبلاء.

كما أنه ليس هناك نص قاطع علىٰ مكان ولادته، ولكن يغلب علىٰ الظن أنه ولد في مدينة (نيسابور)، وذلك استنباطاً من قول المترجمين (ابن المنذر النيسابوري).

أسرته ونشأته ورحلاته:

لقد استفتحت مغاليق التاريخ، لعلي أظفر بما يقشع ذلك الظلام الذي أغطش أسرة ابن المنذر، وأكتنف نشأته، فلم أحظَ بطائل، ثم حاولت من غير تقصير أن ألم بطرف من نشأته وتعليمه ورحلاته في طلب العلم، في مظانها من كتب التراجم مما كنت أكثر إحساناً وتوفيقاً:

ولكن ذلك إذا حال بيننا وبين ما نبتغي راوين، فلن يحول ـ بإذن الله تعالىٰ ـ بيننا وبينه مستنبطين.

فبين أيدينا الآن النبذ المنتشرة عن حياته وفقهه، في كتب التراجم والفقهاء، وكتبه هو نفسه، نقرأ فيها عقلاً مثقفاً، ونفساً مهذبة وفقها ناضجاً، فهل يكون ذلك إلا ثمرة الدرس، ووليد التعليم والتنشئة الدينية العالية.

ثم إنه قد عاصر الثقافة الإسلامية في أيمن وأزهى عصورها، حين رسخت أصولها، وامتدت فروعها، وظهر فيها كثير من المحققين والبارعين والنبلاء من العلماء، في كل فرع من فروع المعرفة، دينية وعربية.

وقد نشأ ابن المنذر في نيسابور عاصمة خراسان في ذلك الزمان، ولا بد أنه سمع في نيسابور في أثناء إقامته بها طائفة من شيوخ التفسير والحديث والفقه، وطاف في البلاد، فقَوِيَتْ ثقافته بلقاء رجال العلم، والمطالعة والسماع، والمدارسة والمجالسة، والتطواف، حتىٰ ألقىٰ عصا التسيار في مكة المكرمة، واستقر به المقام هناك وجاور في الحرم الشريف.

وما زال ابن المنذر جاداً في طلب العلم، حريصاً علىٰ استيعابه، منقطعاً إلىٰ التأليف فيه، حتىٰ بدت نجابته، وذاع صيته. وعلت منزلته، حتىٰ نعته الذهبي [1]: بأنه (الفقيه الأوحد). والتاج السبكي [2] (بالمجتهد المطلق).

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣/٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٣ / ١٠٢.

العلوم التي برع فيها ابن المنذر، ومؤلفاته:

أما العلوم التي درسها ابن المنذر ونبغ فيها، ونص مترجموه على تبحره فيها فكثيرة، منها:

١ ـ **التفسير**: ذكر مترجموه أنه كان عَلَماً فيه، واسع الرواية لأقوال المفسرين. وله تصنيف في تفسير القرآن الكريم جمع فيه ما رواه من الأحاديث الشريفة في التفسير، وما روي عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف[١].

واعتبره العلماء مصدراً وثيقاً في هذا العلم، فقد نقل عنه ابن العربي في كتابه (أحكام القرآن)، كما أكثر من الأخذ عنه القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

أما السيوطي صاحب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) فقد أعلن أنه وقف على تفسير ابن المنذر واستفاد منه كثيراً.

٢ ـ **الحديث**: ما من أحد ترجم لابن المنذر إلا وصفه بالامام الحافظ الثقة، فقد كانت مجالس الحديث كثيرة في زمنه، والرواة في كثرة. وكان على نهاية من التمكن في معرفة الحديث[٢].

وله فيه عدد من التصانيف المهمة النافعة مثل كتاب (السنن والإجماع والاختلاف). ويعتبر هذا من كتبه في الحديث والفقه، جمع فيه إلى جانب الحديث النبوي الشريف، فقه الصحابة والتابعين وأتباعهم، كل ذلك مروي بالأسانيد.

ثم اختصر هذا الكتاب فسماه كتاب (الأوسط).

٣ ـ **الفقه**: اتفق المؤرخون والمترجون لابن المنذر على تبحره في الفقه، وأنه حجة في علم اختلاف الفقهاء، وأنه فنه الذي غلب عليه وعرف به، وأنه ألف فيه من المصنفات النفيسة المهمة النافعة ما خلد اسمه بين وفات التاريخ ودل على

---

(١) أنظر طبقات المفسرين للسيوطي / ٩١ /. طبقات المفسرين للداوودي، طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٢٨، طبقات الشافعية الكبرى ٣/١٠٢، معجم المؤلفين ٨ / ٢٢٠، تاريخ التراث العربي ٢ / ١٨٥.

(٢) سير النبلاء للذهبي، تهذيب الأسماء للنووي. طبقات الشافعية الكبرى.

غزارة علمه، وسعة اطلاعه.

كما اتفقوا على أن كتبه التي صنفها في اختلاف العلماء، لم يصنف أحد مثلها، وأن كل كتاب أُلف في اختلاف الفقهاء كَلٌّ عليها، وأنها قد بلغت الغاية في التحقيق، وأدت من الفضائل والمحاسن، حتى احتاج إلى كتبه الموافق والمخالف.

وان اعتماد علماء الطوائف كلها في نقل المذاهب ومعرفتها على كتبه [1].

ومن مؤلفاته في الفقه:

١ - كتاب الإقناع، ويسمى (الاقناع في الفروع):

وقد سمعه منه ورواه عنه تلامذته، ومنهم سعيد بن عثمان الجذامي، وعبد البر بن عبد العزيز بن مخارق، وهما من علماء الأندلس. وذلك في أثناء رحلتهما إلى مكة المكرمة [2].

٢ - اختلاف العلماء:

وهو كتاب قيم، يذكر فيه أقوال الفقهاء فيما اختلفوا فيه، مع بيان أسباب اختلافهم، وذكر ما يرجحه من الأقوال مع الأسباب [3].

٣ - إجماع الأمة:

وهو كتاب يشتمل على ذكر الأحكام الفقهية التي أجمع عليها أهل العلم، وهو صغير مختصر.

وقد اعتمد عليه وعلى كتاب (الإشراف) الإمام النووي في نقل مذاهب

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي / ١٠٨. تهذيب الأسماء للنووي جـ ٢ / ق ١ / ص ١٩٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١ / ٢٠٢، ١ / ٣٣٨، طبقات المفسرين للداوودي ٢ / ٥٠ هدية العارفين ٢ / ٣١، تاريخ التراث ٢ / ١٨٥.

(٣) المراجع السابقة مع تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣ / ٣٠١، تذكرة الحفاظ ٣ / ٤، كشف الظنون ١ / ٣٢، الاعلام ٦ / ١٨٤. ويوجد قسم منه مخطوط بخط غير واضح وبه خروم، في دار الكتب المصرية برقم / ٣٧ / حديث.

العلماء في كتابه (المجموع)[1].

٤ - **المبسوط**: وهو كتاب كبير في الفقه. كما وصفه الذهبي، والداوودي، وابن خلكان، والسيوطي.

٢ - الأوسط:

كتاب واسع في الفقه العام، مع ذكر الأدلة، وهو مختصر من كتاب (السنن والاجماع والاختلاف).

٦ - الإشراف علىٰ مذاهب أهل العلم:

يعد كتاب الإشراف أوسع كتب ابن المنذر شهرة، وأرفعها ذكراً، وأكثرها فائدة.

وهذا الكتاب في حقيقته مختصر عن كتاب الأوسط لابن المنذر، فقد اوجز هنا ما فصله هناك من ذكر أسانيد الأحاديث الشريفة، وأسانيد آثار الصحابة. واختصر جانباً كبيراً من أدلة المذاهب وحججهم، ومناقشاتها.

وقد صرح بهذا مصنفه في عدة مواضع من كتاب (الاشراف)، منها: في كتاب (قتال أهل البغي) عند الفقرة/ ١٧٨٣ /. وفي الباب الذي قبله فقرة / ١٧٨١ / وفي كتاب (الأشربة) عند الفقرة / ١٧٥٧ /.

أسلوب كتاب الإشراف، ومكانته العلمية:

لقد افتَنَّ ابن المنذر في تصنيفه، وأتقن فأجاد في كتابه أبوابه وفصوله، وأودعه من علم اختلاف العلماء ما جعله يرزق القبول من جميع الفقهاء، فصار مصدراً لهم علىٰ اختلاف مذاهبهم، وما ذلك إلا لأن مؤلفه رحمه الله تعالىٰ لم يشايع مذهباً من مذاهب الفقهاء، ولم ينتصر لفريق دون آخر من أهل العلم؛ بل يدور مع ظهور الدليل ودلالة السنة الصحيحة، ويقول بها مع من كانت[2].

أما ابن المنذر مؤلف الكتاب، فقد كان علىٰ اطلاع شخصي مباشر لأعظم الآثار الفقهية في أيامه وقبل أيامه.

---

(١) المراجع السابقة مع المجموع للنووي. ١/ ٥، وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٧.

(٢) تهذيب الأسماء للنووي جـ ٢ / ق ١ / ١٩٧.

فقد علمنا أنه أكثر من الرواية والسماع والتدوين في الأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم وفقههم، والتابعين ومن بعدهم.

ثم عمد إلىٰ كتب الفقهاء فألم بها إلماماً جيداً، فهو يعتمد في نقل الفقه الحنفي (ويسميهم أصحاب الرأي) علىٰ كتب أصحاب الإمام أبي حنيفة الأولين وخاصة محمد بن الحسن.

كما اعتمد علىٰ موطأ الإمام مالك، وكتاب المدونة، والمسائل التي اتفق عليها الإمام أحمد وإسحاق (تأليف اسحاق الكوسج). ومسائل الإمام أحمد لأبي داود السجستاني.

أما إحاطته بكتب الشافعية، ولا سيما الأم والرسالة للإمام الشافعي، ثم مختصر المزني فقد كانت لا نظير لها.

أما طريقته في مناقشة الأدلة، فإن أخص ما يميزه علىٰ **أقرانه** في العلم أنه يطلب الحق ويدور مع ظهور الدليل ودلالة السنة الصحيحة.

فهو يحقق ويستقرىء، ثم يذكر مذاهب الفقهاء، ثم يقول في أحدها: وبهذا أقول.

وقد يذكر دليله في بعض المواضع، ولا يلتزم التقيد في الاختيار بمذهب أحد بعينه، ولا يتعصب لأحد علىٰ أحد كما يفعل أهل الخلاف، بل اتخذ الدليل ميزاناً، فهو يروي بالنص الصريح، ويقنع بالدليل المبين.

ولعل من أعظم مميزاته وأجمل عاداته في كتابه (الاشراف) أنه إذا كان في المسألة حديث صحيح، قال: ثبت عن النبي ﷺ كذا...، أو صحّ عن النبي ﷺ كذا.

وإذا كان فيها حديث ضعيف قال: روينا، أو روي عن النبي ﷺ كذا.

وهذا الأدب الرفيع الذي سلكه هو طريق حذاق المحدثين وقد أهمله أكثر الفقهاء [1].

---

(١) هذا كلام النووي رحمه الله تعالىٰ، وهو صحيح بعد الاستقراء، إلا أن قوله: روينا، قد يطلقه علىٰ الصحيح وعلىٰ ما دونه.
أنظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٩٧/١/٢.

نزعة ابن المنذر في الفقه ومذهبه:

يعد ابن المنذر من أصحاب الحديث، ممن لا يأخذون بالرأي إلا قليلاً.

وليس أدل على ذلك من قول صاحب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)[1]: (وأما أصحاب الحديث فالحنبلية، والراهوية، والأوزاعية، والمنذرية) اهـ.

وقد ذكر تاج الدين السبكي[2]: أن عدة الاجتهاد كانت مجتمعة لديه، وأنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق. اهـ.

وقد ساعده على ذلك اهتمامه العميق بمعرفة فتاوى الصحابة والتابعين، ورواية آثارهم وفقههم.

ومعرفته الشاملة بالمذاهب الفقهية، سواء في مجال الأصول أو الفروع[3].

مما كوّن لديه ملكة فقهية تنفذ إلى العلة الباعثة، ولكن آثر الاجتهاد في اختيار القول الصحيح، والترجيح بين الأحكام، عن الاجتهاد المطلق، دون أن يتقيد بمذهب معين، ولا يتعصب لأحد، ولا على أحد[4].

ولكن مع كل هذا فهو معدود «من أصحاب الإمام الشافعي، مذكور في جميع كتبهم في الطبقات. ولم يخرجه بلوغه درجة الاجتهاد المطلق، ولا دورانه مع ظهور الدليل، والسنة الصحيحة، واختياراته الفقهية، عن كونه من أصحاب الشافعي، فهو وإن خرج عن رأي الإمام الشافعي في كثير من المسائل الفقهية، فإنه لم يخرج في الأغلب عن مذهب إمامه؛ بل هو مُخَرِّج على أصوله، ومتهذب بطريقه، ومتمذهب بمذهبه، لموافقة اجتهاده؛ كما يقول تاج الدين السبكي[5].

نشبة كتاب (الاشراف) إلى مؤلفه (ابن المنذر) ومكانته عند العلماء:

لقد ثبتت نسبة كتاب الاشراف لمؤلفه أبي بكر بن المنذر رواية ودراية.

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي / ٣٧ /.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١٠٢.

(٣) أنظر طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي / ٦٧ /.

(٤) تهذيب الأسماء للنووي ١٩٧/١/٢.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ١٠٢ ـ ١٠٣.

أما رواية: فقد رحل كثير من أهل العلم من مختلف الأقطار الإسلامية إلى مكة المكرمة ليسمعوا كتاب الاشراف من مصنفه، وينالوا الاجازة فيه. وذلك عندما لمسوا فوائده، وعرفوا قدره.

وممن سمع كتاب الاشراف من ابن المنذر ورواه عنه:

منذر بن سعيد البلوطي، وأحمد بن عبادة الرعيني، وأحمد بن إسحاق الغافقي، وأبو الفتح إسماعيل بن الفضل السراج، وعبدالله بن أبي زيد النفزي والحسن بن علي بن شعبان المصري، ومحمد بن يحيى بن عمار الدمياطي.

كما أن كل من ترجم لابن المنذر ذكر كتابه (الاشراف) وأنه أشهر مصنفاته:

فقد ذكره الذهبي في سير النبلاء (المجلد التاسع، الطبقة الثامنة عشر، مخطوطة)، وفي تذكرة الحفاظ ٣ / ٤، وابن حجر في لسان الميزان ٥ / ٢٧، والنووي في تهذيب الأسماء ١٩٧/١/٢.

وابن خلكان في وفيات الأعيان ٤ / ٢٠٧، واليافعي في مراة الجنان ٢ / ٢٦١، والتاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٢، والعبادي في طبقات الشافعية ٦٧، والداوودي في طبقات المفسرين ٢ / ٥٠، والسيوطي في طبقات الحفاظ ٣٢٨، والقلقشندي في حج الأعشى ١ / ٤٧٣، وحاجي خليفة في كشف الظنون ١ / ١٠٣، واسماعيل باشا في هدية العارفين ٢ / ٣١، والزركلي في الأعلام ٦ / ١٨٤، وعمر كحالة في معجم المؤلفين ٨ / ٢٢٠، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٣ / ٣٠١، وفؤاد سيزكين في تاريخ التراث العربي ٢ / ١٨٥.

وأما ثبوت نسبته دراية، ومكانته عند العلماء:

فيبد وذلك من نقول العلماء عنه، ووثوقهم به، واعتبارهم هذا الكتاب مصدراً ثقة، حجة، أميناً لمعرفة مذاهب أهل العلم، وإننا لنرى ما ينسبه العلماء لابن المنذر من أقوال وإجماع، وما يروونه عنه من نصوص في كتبهم: موجوداً في كتاب الإشراف.

وكثير هم الذين رووا عنه ونقلوا منه. أذكر منهم على سبيل المثال